الجامعة المستنصرية – كلية الآداب- قسم الاعلام

المرحلة الاولى مسائي

مادة: تاريخ الصحافة

الموضوع :عهود الصحافة العراقية

17-5-2021

د عدنان لفتة

عرف العراقيون الصحافة بأشكالها المختلفة منذ أوائل القرن العشرين، مثل: صحيفة "العرب"، و"الأوقات البغدادية" وكانت تصدر باللغة الإنجليزية، و"الموصل"، و"نجمة كركوك" وكانت تصدر بالعربية، ثم أخذت تصدر بالتركية فقط في كركوك، و"مرآة العراق" بالعربية والإنجليزية في الموصل، وصحيفة "تقدم السليمانية" باللغة الكردية في السليمانية.

وحين استُكملت مؤسسات الدولة العراقية الحديثة غداة تأليف الحكومة عام 1921، بدأت الصحف الحديثة تنتشر في بغداد بشكل أساسي، ومن ثم في البصرة والموصل. ومن بين أشهر الصحف الحديثة التي ظهرت إبان حقبة الحكم الملكي في العراق: "البلاد"، و"الاستقلال"، و"لسان العرب"، و"دجلة"، و"الرافدين"، و"الأمل" وهي صحيفة أصدرها الشاعر "معروف الرصافي"، و"الزمان"، و"الأخبار"، و"الإخاء"، و"الأهالي"، و"الرأي العام" وهي صحيفة الشاعر "الجواهري"، و"الطريق"، و"الأخبار"، و"الكرخ"، "و"شط العرب"، وعشرات غيرها.

وقد أحصى المؤرخ "السيد عبدالرزاق الحسني" عدد الصحف والمجلات التي صدرت بين عام 1908 وعام 1923، فقال إنها: "تسعون مجلة ومائتان وثلاث عشرة صحيفة بين سياسية وأدبية وفكاهية".

ا جديد في قولي إن للصحافة تأثيرًا كبيرًا على خلق الرأي العام، لهذا أطلق عليها اسم "السلطة الرابعة"، وأيضًا "مهنة البحث عن المتاعب"، لما تحمله هذه المهنة من مخاطر في عملية جمع الأخبار لنشرها. وعلى الرغم من تقدم وسائل نقل الخبر، الذي ابتدأ بالإذاعة ثم بالتلفاز وحاليًّا الإنترنت؛ إلا أن الصحف ما زالت تحافظ على مكانتها في رصد حركة التاريخ.

ورغم تعدد مصادر كتابة التاريخ، أجد أن الصحافة تُعتبر مصدرًا هامًّا للتأريخ، فهي سجل يومي لتطور دينامية المجتمعات بحكم متابعتها اليومية للأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية. والدول التي شهدت تأخر ظهور الصحافة وعدم تطورها تفتقر لمصدر هام في معرفة تفاصيل تاريخها، ووقتها يجد المؤرخ نفسه يميل إلى تأويل الأحداث لتغطية فجوات ناتجة عن الفراغ في المعطيات والمعلومات.

عهود الصحافة العراقية

مرت الصحافة في العراق بعهود عدة فكانت بدايتها الانقلاب العثماني الذي تم في 1908/7/23م وكانت فترة حكم السلطان عبد الحميد الثاني وفترة العهد العثماني الاخير وذلك من اعلان الدستور في 1908م ولغاية سقوط بغداد بالاحتلال الامريكي البريطاني .

1 - **نشأة الصحافة العراقية يعود تاريخ الصحافة في العراق إلى يوم صدور اول جريدة في 15 – 6 - 1869م** وهي جريدة الزوراء بالرغم من ان الباحث العراقي السيد رزوق عيسى صاحب مجلة المؤرخ أشار في مقالته المنشورة بمجلة النجم الموصلية الصادرة عام 1934م بأن أول جريدة ظهرت في بغداد كانت تعرف بأسم (جورنال العراق) وقد انشأها

الوالي داود باشا الكرخي عندما تسلم منصب الولاية عام 1816م وكانت تطبع في مطبعة حجرية وتعلق نسخ منها على جدران دار الامارة .. وقال ان هذا ما عثر في سجل الرحالين ومنهم :- غروفس وفريزر وبتلر وغيرهم وقد قال الباحث العلامة المرحوم الدكتور عبد الرزاق الحسني (ولكننا لم نعثر على نسخة من هذه جورنال العراق، لا في المتحف البريطاني ولا في المؤسسات العثمانية القائمة) .

2 - **الصحافة العراقية قبل الحرب العالمية الاولى :** والمعروف ان العراق خضع للسيطرة العثمانية زمناً طويلاً بين (1535-1917) . فكانت جريدة الزوراء التي جعلها لسان حال الولاية وكان صدورها كما سبق اعلاه باربع صفحات وباللغتين العربية والتركية وقد استمرت في الصدور مدة تقارب (48) عاماً حتى بلغ مجموع ما صدر منها (2607) عدداً حيث صدر العدد الاخيرفي 1917/3/11م وقد ظلت الجريدة الوحيدة في بغداد حتى صدور الدستور العثماني سنة1908م حيث ظهرت في العراق عدة جرائد باللغة العربية.

بعد الزوراء صدرت في الموصل جريدة الموصل في 1885/6/25م ومن ثم في البصرة صدرت جريدة البصرة في 1889/12/31م وهي لسان حال الحكومة العثمانية كسابقتها كان ذلك في فترة حكم السلطان عبدالحميد الثاني وترأس تحريرها رفعتلو محمدعلي افندي .

3 – **الصحافة العراقية بعد الحرب العالمية الاولى** : والتي بدأت منها فترة الاحتلال البريطاني للعراق ولغاية انتهاء الحرب العالمية الثانية واعيد فترة الحكم الوطني ولغاية 1958/7/13م حيث أعلن النظام الجمهوري ، وفيها أيضا مرت بعدة فترات . على الرغم من النهضة الأدبية والفكرية التي بدأت تعمم القطر العراقي على نطاق واسع منذ نهاية الحرب العالمية الاولى ، وبالرغم من تعطش الشعب العراقي على العموم الى القراء والأقبال على الصحف ، فأن الصحف العراقية ظلت ضعيفة لم تستطيع مسايرة النهضة الفكرية التي أجتاحت العالم العربي ، ان صحافة العراق بقت هزيلة جداً لم تسجل اي تقدم على الساحة العربية ، وقد ظلت الصحافة العراقية خاضعة لاحكام قانون المطبوعات العثماني حتى سنة 1931 ، وأستغلته السلطات الحاكمة اسوأ استغلال ، لا سيما وان البريطانيين كانوا مازالوا مسيطرين على جميع مرافق البلاد ، ومما يذكر في هذا الصدد ان نوري السعيد حين الف وزراته الاول في عام 1930 تعطلت أكثر الصحف الوطنية المعارضة التي صدرت في عهده ، ومن هذه الصحف جريدة البلاد ، صوت العراق ، الجهاد ، وصدى الاستقلال ، الاخبار ، وكان يصدرها روفائيل بطي وجبرائيل ملكون وصديق الشعب والاستقلال التي كان يصدرها كلها عبد الغفور البدري ، والفرات للشاعر محمد مهدي الجواهري . وقد صدرت هذه الصحف عام 1930 .

4 – **الصحافة العراقية بعد الحرب العالمية الثانية** : أن الصحافة في العراق عاشت حرية نسبية خلال ثلاث فترات ؛ الأولى كانت بعد الحرب العالمية الثانية عندما أجاز وزير الداخلية ، سعد صالح الأحزاب السياسية التي أصدرت صحفها. والثانية كانت بين عامي 1953 و1954 في أعقاب تشكيل وزارة فاضل الجمالي التي دخل فيها خمسة وزراء من الشخصيات المعارضة آنذاك ، وكان والده رفائيل بطي أحدهم ، حيث تسلم حقيبة وزارة شؤون الصحافة والاعلام . أما الفترة الثالثة فتشمل السنوات الأولى بعد ثورة 14 تموز 1958، حيث صدرت العشرات من الصحف وكذلك المجلات الثقافية ، كما عرف العراق الصحافة الكردية قبل تحقيق الاستقلال الوطني .

5 – **الصحافة العراقية في عهد الثورة** : ولما اعلنت الثورة صبيحة الرابع عشر من تموز استبشر الصحفيون خيراً ، واطلقت حرية النشر واعيد استئناف صدور جميع الصحف المعارضة التي كانت معطلة ، وظهرت في بغداد وحدها خمس واربعون صحيفة ومجلة ، وفي خارج بغداد صدرت حوالي عشرين صحيفة ومجلة ، كان عبد الكريم قاسم أول من فكر بأوضاع الصحفيين فمنحهم أراضيَ سكنية ، ومنح تراخيص صحفية لمحررين من الخط الثاني والثالث أسهمت في تأجيج الصراعات التي أودت بتجربته ، كما نالت الصحافة في عهد الثورة حريتها ، فتنوعت الاتجاهات واختلفت آراء الصحف وميولها وحزبيتها حتى عمتها الفوضى بشكل لم لم يعرف تأريخ العراق من قبل ، وهكذا نجد ان تطور الصحافة العراقية كان خاضعاً لعدة عوامل وعراقيل سياسية وحزبية واستعمارية جعلتها تصل الى مستوى ضعيف من الفن الصحافي . رغم أن العهد كان يعول عليها لاستمرار التطور المهني لأنها جمعت أجيالا من الصحفيين تفاعلت خبراته وخرج جيلا من الصحفيين أسهم في محاولات جادة لم يكتب لها الاستمرار ،

6 - **الصحافة العراقية بعد الثورة تموز** : وجاء انقلاب الثامن من شباط ليدفع بالصحافة والصحفيين إلى وضع أكثر سوءا ، ألغيت الصحف المعمرة (البلاد)، (الاخبار)، (الزمان)، وهي الصحف التي صبيحة الرابع عشر من تموز استبشر الصحفيون خيرا ، المرحلة الشباطية لم تترك أي أثر إيجابي في تاريخ الصحافة العراقية. على العكس أدت إلى هجرة كوادر مهنية الى الخارج وابتعاد أخرى عن المهنة .

7 – **الصحافة العراقية في عهد العارفية** : المرحلة العارفية الأولى عززت من استهانة الحاكم بالصحافة والصحفيين فقد كانت الصحافة المصرية هي وسيلته للتعريف (بمنجزاته) واستهان بالكفاءات المهنية فجلب خبيرا مصريا لتطوير الصحافة العراقية ، ويشهد الذين عملوا مع الراحل عبد الله الخياط أنه أكثر كفاءة من ذلك الخبير ولكنها عقدة الحاكم من

صحفيي بلاده ، العهد العارفي الثاني كان الأكثر انفتاحا. وصدرت خلال شهور العسل صحف متميزة أعادت للكفاءات المهنية اعتبارها، ولكن الأمر لم يطل (واستورد) النظام التجربة المصرية وأمم الصحافة العراقية وحولها إلى مؤسسات حكومية. ولكن الأمانة تقتضي القول إن الصحف الحكومية في العهد العارفي أفضل مهنيا من الصحف التي صدرت بعد مجيء البعث للسلطة ،

8 – **الصحافة العراقية بعد مجيء البعث الى السلطة** : فالعهد الجديد دشن مجازره بإعدام نقيب الصحفيين الراحل عبد العزيز بركات وزميله في (المنار) عبدالله الخياط ، وتحولت الصحافة إلى (صوت للحاكم)، وانتهى الإبداع المهني . كان الصحفيون المحترفون (يتعذبون) وهم يرون كفاءاتهم تهدر في صحف متشابهة من حيث الشكل والمضمون ، يتألمون وهم يرون صحفا متطورة تصدر في بلدان لم تكن تعرف الصحافة يوم كان في العراق صحف تسقط حكومات. وبمرور الزمن أحكمت الاجهزة الأمنية يدها على كل الحلقات وأصبح الاستشهاد بأقوال القائد هو وحده يجنب الصحفيين المساءلة والتشكيك في المواقف الوطنية. وتمادى الحاكم بالاستهانة بالصحفيين فلم يكتف باستدعاء هذا الصحفي العربي أو ذاك ، كلما أراد أن يوجه (خطابا للأمة) بل أنفق ، عبر مخابراته ، الملايين على صحفيين أصدروا صحفا لحسابه . كان يعرف جيدا أنها لا تلقى الاهتمام ، وأصبح التنظيم المهني تابعا للسلطة ، وأهدرت الإمكانيات المهنية ليتحول التحقيق الصحفي إلى (تقرير يعده مكتب الإعلام في الوزارة المعنية ويسلمه للصحفي مشترطا ، حسب توجيه وزيره ، عدم الحذف والتغيير). أما العمود الصحفي فقد شهد مداحين لم يعرف تاريخ الصحافة العراقية لهم مثيلا ، كانوا (يسبحون بحمد القائد ليل نهار، ويتصيدون (مكرماته)، وانتهت (الافتتاحية) في الصحف العراقية وتحولت إلى إنشائيات تكتب بتوجيه من الأعلى، ولم يسلم الخبر المحلي من الحصار فأصدر أحد وزراء الإعلام تعميما يمنع بموجبه نشر الأخبار المحلية الرسمية التي لاترد للصحف عبر وكالة الأنباء العراقية. فهل هناك عذاب أكبر من هذا بالنسبة للمهنيين الذين حوصرت كفاءاتهم وهمشوا بهذا المستوى ، ثم نصب النظام نقيبا لهم تعامل معهم (بالحجز والتوقيف وحلاقة الرأس) .

9 – **الصحافة العراقية في عهد الاحتلال** : ثم جاء الاحتلال ليصدر قرارا جائرا بعقوبة جماعية طالت أكثر من ألف عضو نقابي وألغيت مؤسسة عريقة هي (وكالة الأنباء العراقية) بذريعة هي أن الصحفيين كانوا أبواقا للنظام الصدامي رغم أن الاحتلال يدرك جيدا أن أبواق النظام يعدون على أصابع اليدين . وفتح الاحتلال ، ومن بعده الحكومة المؤقتة ، الباب على مصراعيه أمام كل من هب ودب ليصدر صحفا لاعلاقة لها بالمهنة إلا بالإسم ومايلحق ذلك من آثار ضارة بالمهنة ومحترفيها. أصبح التهديد بالقتل والموت هاجسا يوميا ، وباتت ظروف العمل والتنقل مأساة حقيقية ،

10- الصحافة العراقية بعد 2003:

اتسع نطاق الحرية وصار اصدار المطبوعات سهلا وازدحمت الشوارع بالاصدارات الجديدة بعضها مستقلا واخرى تمثل الاحزاب حتى بلغت الصحف بعد عام 2003 وقد أجريتُ تعداداً لأسماء تلك الصحف وعناوينها منذ التاسع من نيسان 2003 حتى ثلاث سنوات بعدها، وقد بلغت الحصيلة (354) صحيفة فقط بالتمام والكمال، منها ما صدر في مناسبات معينة ومنها النصف شهرية ومنها الأسبوعية ومنها النصف أسبوعية وأخرى يومية.

ومن بين تلك الصحف ما كانت تصدر أصلاً بالاسم ذاته في الخمسينات والستينات وأُعيدَ إصدارها بحُلةٍ جديدة. وقد نُسب إصدار كل صحيفة من الصحف الـ (354) الى أحزاب أو مؤسسات أو كتل أو هيئات أو منظمات أو فئات أو تجمعات أو حركات كثيرة والبعض الآخر منسوب لأشخاص، فيما تنوعت توجهاتها، إذ جاءت الأغلبية منها سياسية عامة، وهناك الصحف الدينية وأخرى فنية، وسواها العديد من الصحف الرياضية. وللأسف هناك من الصحف من صدر بعدد واحد وتوقف وأخرى بأعداد محددة ورحلت وأخرى قاومت ودامت.